Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا السؤال يمكن طرحه على جميع الرسّامين الذين قصدوا تلك الرّبوع باحثين في نفس الوقت عن أفريقيا وعن الشّرق في امتزاجيهما بالذاكرة الرومانيّة .

إلاّ أن بول كلي كان قد نذر نفسه إلى فنّ الرّسم قبل بداية هذا التّاريخ . لقد كان يشعر مسبقاً أن عليه أن يقتحم شيئاً يعترضه حتّى يبلغ تلك الأصالة أو ذلك « الجوهري » . وكان ذلك هاجسه الأوحد . إنّه يسجّل في يوميّاته لسنة 1912 ما يلي : « توجد هناك بدايات بدائيّة للفنّ ويظهر ذلك في المجموعات الإتنوغرافيّة أو في غرفة أبناء أحد الأفراد من النّاس » . ولا يعني ذلك أنّ بول كلي هو أول من اكتشف الرابط الذي يصل بين الفنّ البدائي وبين رسوم الأطفال والمجانين . إنه فحسب أول من ذهب ينشد ضالته على عين المكان .

ولقد وطأ بول كلي أرض تونس كما يطأ البتول أرْضاً مقدّسة . ومنها أنّه ينشد ضالته في « الفن البدائي » . وقد كان ذلك شغله الشاغل . فقد كان منفتحاً على تلك الظاهرة بنفس القدر الذي كان يسائلها . لقد كان جوّاباً انطلق إلى تونس كما ينطلق المرء باحثاً عن النبع الأصيل .

الأسطورة تتجسّد :

وبينما كان « بول كلي » و صديقه « أوقستان ماك » يقتربان من ساحل البحر وهما يدخّنان غليونهما ،كانت المدينة تدنو منهما ، يلفّها ضباب الصّباح . ثم شرعا معاً يكتشفان تونس كما ينبغي . لا كما اعتاد أولئك الذي أصبحوا يسافرون على متن الطائرة . لقد امتطى الاثنان االباخرة مخيّرين زرقة البحر على زرقة السّماء . « لقد أخذت الأسطورة تتجسّد رغم أنّها تبدو من بعيد قريبة المنال . إنّها لا تفتأ تتمرأى للبصر شيئاً فشيئاً . » وقد جاء ذلك في يوميّات « بول كلي » التي أسلفنا ذكرها .

فمنذ أن انطلق « بول كلي » في سفره غرق في أمواج الألوان والأشكال المزدحمة . لقد أصبح يشعر أنّ ضالته التي يبحث عنها سوف تتبدّى له . لكن هذا الشعور ما زال غائماً وممتزجاً بالروعة التي يبعثها المنظر أو يثيرها ما اعتاد أن يسميه البعض بـ